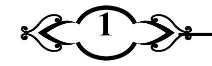
ضحى جهاد أحمد

سماء ثامنة

قصص

طبعة أولى إبريل 2019



بطاقة الكتاب

مسابقة شاعر / أديب النيل والفرات

الدورة الرابعة – إبريل 2019

الكتاب الفائز بالمركز الأول م

فرع القصة القصيرة

عنوان المؤلف	سماء ثامنة
المؤلف	ضحى جهاد أحمد
التصنيف	قصص
رقم الإيداع القانونى	7889 - 2019
رقم الإصدار الداخلى	374 الطبعة الأولى إبريل 2019
عدد الصفحات	78 صفحة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار نشـــر طبع ونشر وتوزيع الكتاب أو ترجمته أو الإقتباس منه أو نشره على النت الا بموافـقة كتابية وموثـقة من المــؤلــف



الاهداء

إلى

المتمردين على جنـة الحائط

لأنـهم يعلمون أن الأفكار العظيمـة

استثنـاء ......

ولأنـهم يتبصّرون

امرأة ليست مختلفة

في الحقيقة هذا عنوان لقصة كتبتها منذ زمن ، حينها كنت أبحث عن نساء يسِرن بالحياة في دربها و إن طال و المهم هو الغاية الجميلة ، الحياة نفسها على أن تكون حلوة .. حلوة بمرارة التجارب و فخر النجاحات .

آنها لم أكن أعرف ضحى أحمد و لا كنت قد قرأت لها ، و في القصة كانت البطلة سيدة سورية تنحدر من أصول سومرية .

اليوم سأعيد صوغ القصة على ايقاع التجربة الابداعية للكاتبة ضحى أحمد .

الحق : أنني من مناهضي تسمية " الأدب النسوي" ولكن ثمة ما يدعوني لأن أثني على خاصية منجزات كاتبات عربيات ليس لأنوثة طروحاتهن بل لأنه لو لم يكنَّ إناث لما قاربنَّ مثل هذه الموضوعات و بهذا الأسلوب .



ضحى أحمد في آخر إصداراتها القصصية " وينتعلْنَ ملحاً " وقبلها أسئلة إلى الله- نواصي الاغتراب – لون رمادي للبقاء – و يلبس الوأد ثوباً آخر في الواجهة أهمية العنونة في العمل الأدبي ، فبين الحض على التساؤل و بين اجتراع الأجوبة ، ثمة ما يحفز على القراءة و البحث و الاستكشاف و ثمة إغواء في المعرفة ، و هذا الذي فعلته هذه العناوين ، تشويق ثم قراءة ثم تترك لك كقارئ ما يتبقى.

في واحدة من خصائص كتابات ضحى أحمد أنها تتيح للقارئ فرصة إعادة صياغة النص القصصي فكرياً و أحياناً أدبياً وفي مرات أخرى يمكنك أن تكمل كتابة القصة لأن النص مفتوح في آخره ، لأن تنضم إليه شخصيات أخرى يعرفها كل قارئ على حدا .

لدى ضحى أحمد مخاتلة فنية في القص تجعلك تلسع فكرك بأصابعك الخمس على جبينك المقطب بينما أنت تقرأ الخاتمة : كيف قادتني بسردها و مفرداتها إلى غير اتجاه النص ؟ و هذا ما فعلته بحرفية في قصة "بين سروتين" لدرجة أنك ستعيد القراءة كي تتأكد مما فهمت .

ضحى أحمد تقبض على اللغة بأناملها و تحركها لغاياتها السردية بفنية عالية ، فلن تمر قواعد اللغة ، ولا الضمائر المنفصلة و لا المتصلة بغير مكانها لتكون هي ذاتها القصة .

في هذه المجموعة ، مواضيع و طروحات تسجل الكاتبة بالتطرق إليها إبداعاً يسجل لامرأة ، و الأهم هو شكل الفكرة الجديد : كيف تفكر المراهقات بإنسانية ، كيف يخاطب الأطفال الله ، و المزاوجة بين وجهتين : الفطرة و الوعي .

امرأة ليست مختلفة .

نعم .

الأنوثة أعجوبة الله لهذا الذي اسمه الحب ،والأنثى مبرد محترف لوحشية الألم ،و بكل المقدرة تفعل الكاتبة بقلمها ما يجب لننجو من الألم بأعجوبة حب و هذا هو إهداؤها للحياة .

ضحى أحمد كاتبة تخط بقلمها ما يستحق القراءة ، و هو قلم يكتب العقل بمداد القلب ، لأجل الحياة الحلوة ..

نجود حسين كاتبة

سورية



مملكة الياسمين

وقف على الشرفة ، رائحة الياسمين اخترقت كل بوابات القصر وشرفاته .. اقتحمت أنوف سكانه ..

البيوت ساكنة هادئة .. مستلقية تحت الأشعة الأولى للصباح ..

صياح الديكة ، زقزقة العصافير .. تبعث الحياة في الأجساد النائمة .. امتدت راحته .. ملأ قبضته بأزهار الياسمين وعبقه .

سار في أنحاء ديوانه الواسع .. مروج من الطنافس والديباج والحرائر .. عرش موشى بالياقوت والذهب والزبرجد المطعم بالنفائس والغرائب .

- **أسعد الله صباح مولاي .**
- **أتعلم أيها الوزير ...**
- **أعلم ماذا يا مولاي ؟..**
- **لم أصحُ من قبل وأنا بمثل هذه السعادة .**

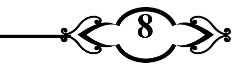
- عساها تدوم إلى أبد الآبدين يا مولاي .
أية نعمة وهبتنا إياها السماء لنراك على هذا الحال ؟
- رأيت جدي في المنام .. قال لي : سوف ترى الدنيا صاغرة تحت قدميك .
- إن شاء الله يا مولاي .. لا أشك في ذلك .. كيف لا وأنتم من تتولون قيادة السفينة .. وتبحرون في كل هذه النعم ؟
- أيها الوزير .. حدثني عن جدي .
- ماذا عساي أن أقول يا مولاي ؟.

لم يكن رجلاً بل جيشاً من الرجال الأشداء .. صلباً كالحجر .. رقيقاً كالزهرة .. حكيماً كمن عاش آلاف السنين .. عطوفاً كطفل صغير .. والأهم من ذلك كله .. إليه يعود الفضل في قوة مملكتنا وهيبتها .

- كيف ذلك أيها الوزير الصالح ؟
- أوليس جدكم المبارك هو من أمر بزرع ياسمينة أمام كل منزل في المملكة ؟ أليس هو من ملأ أسوار القصر وشرفاته وعرائشه وحيطانه بالياسمين ، حتى صار اسمها مملكة الياسمين

انتصب الملك .. وحدّق في عيني وزيره ..

- أنا أفكر أيها الوزير



- **كل أفكاركم سديدة يا مولاي .**
- **عليّ أن أقوم بعمل تذكرني به المملكة بعد رحيلي**
- **أطال الله عمرك يا مولاي .**
- **فكرت ورأيت أن أميز شعبي وناسي عن غيرهم من شعوب الأرض ، وعلى شعوب الأرض أن تتعرف على أبنائي أيضاً ، عليهم أن يقولوا هذا ، وذاك ، وهؤلاء ، من مملكة الياسمين ، لا أريد أن يشبههم أحد ولا أريدهم أن يتشبهوا بأحد .**
- **عين الصواب يا مولاي .**
- **ابدأ بنفسك أيها الوزير الحكيم .. كن لغيرك من الناس قدوة حسنة .. لا أريد أن أرى شارباً كاملاً في وجه من وجوه أبنائنا .. أريدكم جميعاً بنصف شارب ونصف لحية على يسار الوجه ، لا على يمينه ..**
- **مولاي ..؟**
- **أنت تعلم أنني لا أحب أن يناقش أحد أوامري ..**
- **أردت يا مولاي أن أقول : إن التاريخ سوف يذكر رغبتك هذه ، سوف يتعلم منك ملوك الأرض وسلاطينهم محبة شعوبهم ..**

بعد حين من الوقت .. تعالى صوت المنادي في أرجاء المملكة :

- أيها الناس .. الحاضر يعلم الغائب .. تنفيذاً لرغبة مولانا حفظه الله من كل سوء .. وليبقَ اسم مملكتنا لامعاً براقاً كما النجوم ، على كل رجلٍ وشاب ويافع في المملكة أن يقص جهة اليمين من شاربه ولحيته داعياً لمولانا بطول العمر والبقاء ..

من بين الجموع المحتشدة همس شاب في أذن صديقه .. قائلاً

- وما علاقة المملكة وإعلاء شأنها بهذا العمل الشائن

نظر إليه صديقه نظرة استخفاف وازدراء . وردَّ مجيباً :

- أيها الغبي .. أنّى لنا نحن البسطاء .. أن نفهم مصلحة البلاد كما يعرفها حكامها ..

كان ذلك مجرد فاصل مسرحي ، عرضه التلفزيون على شاشته الصغيرة .

بعد أيام ظهر كثيرون من الأغبياء والحمقى والانتهازيون والمارقون بأنصافٍ من الشوارب واللحى .

أُسطورة الأقنعة

الزمن لا يعلم غير الخالق مبدأه .. والمكان ربما كان تحت أقدامنا أو أي مكان ينضح بنسغ الدم الصاعد إلى القلوب .. بدأت الحكاية .

في ذلك الزمن الخريفي الموؤد بالضباب واليباس بدا الأمر قدراً مكتوباً منذ ألف ألف عام .. أو أشبه برائحة التراب المبتل بملوحة البحر المضيء ..

نظر إليها بعينين شتائيتين أبداً .. وقف إلى جوارها في حالة انهيار صامت .. آن سألته : لمَ هذه الكآبة ؟

أحس بالدم الصدئ في دوامات لا تُرى إنما تدوي في الرأس وتهلك الروح الشغوفة ..

خائف أن تغيبي كشمس في ضلوع الغروب ؟

هكذا أجاب صوت النوارس العائمة في ذلك الأصيل المهاجر ..

المشهد الأكثر التصاقاً بمحجر عينيه .. جسد ضئيل يتناثر على شكل ذرات في فضاء لا نهائي .. أو ربما وريقات وردة

أمام عبثية الأيام في سفرها وما إن أبرقت في ليله المدلهم حتى بدأ القمر يجمع الحطام المنثور في الأزمنة والأمكنة التواقة للدفء والحياة ..

حين يجاورها يجتاحه موج عارم من الحب والحلم والانتماء والنشوة ..

لا يدري عدد دقات قلبه حينما تنحني لتلتقط وردة قطفها كرمى لعينيها ولا أية خضرة تعتمر في حدائق نفسه حينما تطوقه بأناملها العاجية بينما الشمس تشرق من جسدها المسكوب من مرمر .

تحت صفصافة وارفة الظلال هطل مطر مفاجئ ..

أحس ببرودته تسري في عظامه وفي أوصال صديقته التي أسرعت بالعودة فتعثرت بصخرة وهوى جسدها كملاك على الكون .. لم يكن يدري أهي تعثرت بالصخرة أم الدنيا تعثرت بها .. وهل دماؤها ما أريقت على الأرض .. أم الأرض نفثت لهيبها ..

حينها علا نباحه بشدة غير معتادة .. يطلب نجدة أو مساعدة والقلب يحطم أسوار الجسد المضطرب خوفاً على السمراء الغالية ..

تعاقبت الأيام والعشق مرفأ ذلك الكلب وسفينته



والحبيبة لا تراه غير حارسها الوفي .. فليس كل من امتلك قيثارة يستطيع العزف عليها .

بالأمس سمع أنّ جنية تستطيع أن تمنحه جسد إنسان كما في حكايات الخيال .. سار إليها وأمنيته تسبقه وتهبه شجاعة الوصول والأمل ينمو ويترعرع كدالية تخبئ دنان الخمر واخضرار الحلم .

استجابت الساحرة لمطلبه بعد أن ظفر بثمار شجرة نادرة لا تنمو إلا في الأودية السحيقة .. وحصوله على قطع ملابس لصبايا يسكن بلدان مختلفة ، وأخيراً المبارزة بين الكلب العاشق ونمر شرس لا ترويه دماء وحتى لا تنتهي الحكاية .

استطاع الحب أن يهب صاحبه قوة فولاذية فغالباً ما نحقق الأمور التي نرغب فيها بشدة ونسعى إليها بإصرار .

ونُثر غبار السحر على الكلب الذي سرعان ما تحول إلى شاب قوي البنية .. حسن الصورة .. لونه كتراب الأرض وقلبه أكبر من كل محيطات العالم .

جرى الشاب إلى المرأة التي اجتاحته كإعصار يضرب قلب شجرة وتعارفا كما الموجة وصخرة الشاطئ ..

وبعد شهور قليلة اتفقا على ارتباط تباركه السماء ويُعلن أمام الدنيا وسكانها أثناء التحضيرات للزواج كاد الشاب

ينسى القصة المنصرمة بعد أن اعتاد على كونه رجلاً وأمنيته قاب ليلتين أو أدنى

في ليلة الزفاف وقف إلى جوار الحسناء المزدانة بنقاء الثلج المنثور على خمارها وجسدها أشبه بزهرة مغتسلة بالطل والعبق .

لم يدرِ بنفسه إلا روحه خرجت من عقالها ..

امتطت صهيل الفرح الهائل .. فانحنى العريس وعضَّ عروسه في ساقها ..

بين سروتين

راودني طيفه منذ زمن
فحاكت الأقدار شرنقة اللقاء ،
وكنتُ أمامه وجهاً لوجد عن سابق عاصفة .

التقيته في أكثر الأماكن توقعاً للصدف .. كحدث مرتب بعناية .. بدا طاغياً كبحر .. آسراً كلون الغروب .. شاهقاً كقامات التعب .. بسيطاً كالمطر .. يشرد الضوء من أنامله غيوماً وفرساناً .

عرفته قبل اللحظة الأولى .. أنا السجينة بفكري الشرقي .. المسورة بتوصيات أمي ولون تفاحتها .. المزنرة بمحرمات أبي .. المعتمرة تاج الشوك في مضائق الجلجلة .

التقت عيناي بعينيه في حقول الخفر ونصف الاشتعال .. كان يتجول في المكان بخفة لون مضيء في لوحة .. لا ينخرط بطقوس أو مراسم أو أوسمة .

يجس مريضة مقرورة .. يلامس جبهة طفل .. يلثم خد عجوز .. يلف المكان بسحره وجلاله .. كنت أعرفه أو أتوقع ذلك .

انجذبت إليه بكل ما أوتيت من إرادة .. تعلقت به لحد العبق ليست قصة غريبة أو غير مألوفة أو متوقعة أن تداهمنا النهايات في ذروة عشق الحياة .. لكن المدهش تفاصيل ذلك الارتباط وربما الالتصاق والتماهي .

يومها عدت إلى البيت بخطا ثقيلة معفرة بروائح الضباب .. تجنباً للمواجهة

اختصرت الكلام إلى أدنى مستوياته .. عانقني زوجي بود سحيق .. طوقتني كلماته ونبرة صوته الهادئة .. وثرثرات أطفالي ولون ضحكاتهم الصغيرة ..

لكنك كنت حاضراً بيننا .. رأيتك في تفاصيل التفاصيل تعرش على كروم حياتي فقد صرت ضمن مدارك كوكباً اكتشف حديثاً .. أو شهاباً يحترق .

كنت أخاف أن يلمحوك في ملامحي فأهرب من نظرات زوجي .. التي اخترقت روحي .. ذلك الرجل الذي اخترته عن سابق عاصفة .. وأقسمت له تحت الشمس والريح والأنواء .. أن أبقى معه بالرغم مما سيعتريه من زجاجات دواء ومشية مجعدة .. وسيبقى في ذاكرتي شاباً جديداً لا تهزه أمواج العمر ولا تطاله رياح السأم .

كيف سأخبره أني سأغدر به في عقر الاشتياق والربيع .. وهل سيفهم اكتشافي وحدة قياسية مبتكرة للحب غير

الامتلاك والبقاء .. وهل سيسامح تعلقي بك لهذا الحد .. ماذا عساي أن أقول عن لقائنا .. عن رغبتي بمرافقتك .. وعن نصل نظرتك المغروسة في ذاتي ولغتي وسكناك بين الأعصاب ..

وهل سيطرب لأغنيتي المغسولة بالدمع والصديد ؟

وأبدأ بتمثيل دور الزوجة وأعرف أنني ممثلة فاشلة لا أقنع نفسي فكيف سواي .. أسمع وقع خطواتك في انتحاب جارتنا لسفر ابنها إلى ملكوتك .

يباغتني صوت صغيري يناديني (ماما) ألن تحكي لي قصة قبل النوم .. يركض إليَّ يرتمي في حضني كقمر في قلب بحيرة .. يطوقني فأحس ذراعه ناراً في بيدري اليابس .. أحمله إلى سريره متأرجحة بين ذاكرة مهتاجة ونسيان مطلق الخريف .. أحاول أن أحكي له قصة لقائنا .. أتراجع وأتوسل الصمت بكل عجرفة الأمومة ..

كيف سأخبره أني سأغادر إلى مرفأ آخر .. وأن نوارسي ستطفق فوق بحر جديد .. كيف سأقنعه أني أومن بملوحة الأهداب .. وأن بوصلتي صار لها سمت آخر .. كيف سأخبره أن خطواتي ستألف طريقاً غيره .. وأن دروبي تعشق عطرك ولا أملك لقدري تبديل .

هل أجرؤ أن أكلمه أن أمه سترسو في جزيرة لا تتمنى أن تلقاه فيها وستصلي أن يطول انتظارها لاحتضانه وستأمل بالمستحيل ألا تلاقيه في محطتها أبداً ..

أصمت ويتدحرج قلبي كقمر وقع وتشظى آلاف الكلمات والذكريات والآثام الصغيرة ..

تذكرت إحدى الصديقات وكلامها عن قوس قزح أنه يغير المفروض وتمنيت أن تتباعد السموات بقوس إلهي أسيرُ تحته فلا أزور ذلك المشفى ولا ألقاك ولا أكتشف موعد الرحيل .

في لقائنا الثاني كنت بهياً كدرب جبلية تفضي إلى البحر وتشعل الأشجار ورقاً واخضراراً .. كنت حاسماً كاليأس النابت في أعماقي سنبلة تائهة التقطتها الريح

وقفنا كإشارتي تعجب بين زمنين يمتد العمر بينهما آلاف المساحات الشاسعة

قفزت فوق رصانتي وحيائي وشمس الشرق التي كوتني منذ الصغر .. أخبرتك عن موافقتي بل ورغبتي في مرافقتك لكن امنحني بعض الوقت لأرتب تفاصيل غيابي أو لأعبث بحياتي وأوراق التقويم ..

واتفقنا أن تزورني كل مساء لنناقش الأمر ..



على وقع البخور المسائي الطاغي كنت تأتي شفافاً ومترفاً بالغموض .. نجلس لساعات نبوح بدمع يرفل الجفن .. تمسك بيدك ملوحة الجسد المتشظي .. وتشرب قهوتك المرة وتغادر بخفة الأثير ..

وأنتظرك في اليوم التالي .. وتأتي نتحدث عن كل شيء إلا ما اتفقنا الحديث عنه

أكملت عن طفولتي وضفائري عن أقلامي الملونة ودفاتري عن جدتي وأسماء الصديقات .. الكتب التي أحب .. رائحة العطر المفضلة .. أشد الأمور سرية لم أكن محرجة بالبوح عنها .. فأنا لست كسواك ..

منذ الصباح وأنا أنتظرك دون موعد أكتب لك هذه الكلمات لأبدد انتظاري .. ولأكسر شوقاً يستطيل انكساراً للضوء على الخلجان الرمادية ..

أحسك تقترب .. أشعر بك تتقمصني .. ويكبر السؤال معانداً كل احتمالات الإجابة .. هل سيسامحني زوجي؟ هل سيغفر لي أبنائي ؟ ألن يخيب ظن أبي ؟

ألن ينكسر قلب أمي ؟ بما سيفكر إخوتي ؟ وماذا عن الأصدقاء ؟

هل سيفهمون أنك ملاذي ولطالما كنت ملتصقاً بي ؟ هل سيفهمون أنك غير ما يعرفون أو يسمعون أو حتى يتوقعون ؟ هل سيعذرون خطواتي المسافرة إليك ؟

ليس مهماً كل هذا .. حسبي أن أمتشق ذراعك الآن .. تحملني إلى ملكوتك بثوب زفاف هو كفني أسير بنعشي إليك .. نرتقي الأثير على وقع الأصوات ..

(سبحان الحي الباقي الذي لا يموت)

أسئلة إلى الله

لم يكن قد أنهى عامه الثالث حتى انهالت المصطلحات الغريبة والكلمات الثقيلة ترمي حممها فوق رأسه الصغير .. هو الذي اعتاد أن يتعرف على أشيائه باللمس والتركيب والفك أو على الأقل بالنظر أو التذوق أو الشم .. فكيف سيعرف الآن ما هو بعيد عن متناوله بعد السماء عن الأرض وكيف يغفو على مخدة من الكواكب ويلتحف غطاءً من أفئدة النجوم ورقصات أشعة القمر .

بدت الكلمة غريبة عن عالمه الصغير .. لكنها تسللت إلى تلافيف دماغه .. فحين يصيب يكون الله راضياً عنه مباركاً خطواته ..

حين يداعب أخاه الصغير ويحنو عليه الله يرسل إليه ببعض الحلوى .. لكنه بالأمس أغضب أمه فكان الله له بالمرصاد ..

أسئلة تلعثم بها الطفل الذي غدا رجلاً فجأة .. دون مقدمات .. من هو الله ؟ ماذا يلبس ؟ كيف يراني ولا أراه ؟ أتراه يحب من الأطعمة ما أحب .؟ أينام بجواري حين أنام .؟

والكثير الكثير من الأسئلة المدّثرة بالدهشة الطفلة لمخلوق تكاد الكلمات تعرف طريقها إليه ..

وقف بجوار أمه المنشغلة بتحضير أطباق الطعام لمائدة الغداء .

سألها بحياء وبصوت يكاد يكون همساً

- ماذا قلت بني ؟

فيعيد الصغير استفساره بشيء من نزق الأطفال .

تصمت الأم برهة لتجيب بلسان حواء الخارجة من الفردوس الأعلى : حديث بدأ بالطلاسم مما عقد الموضوع أضعافاً مضاعفةً لتنهي كلامها ناسية عدد السنوات المزروعة على أناملها في يد واحدة وهي أقل من شمعات عمر ابنها فهو ندها الآن .

-الله يرعاك يا ولدي ويبارك خطواتك حينما توافق رغباتي وتطيعني فرضى الوالدين من رضى الله .

أقفل الطفل على دهشة ما عرفها قبلاً وغادر كشمس الغروب على أمل الشروق مجدداً بعد حين وهو يتموج في حضن



والده كنهر في غابة عذراء .. تجاوز الطفل حدود خجله وهمس في أذن والده : -هل الله يحب أباه مثلي ؟

ابتسم الأخير ابتسامة رضى لحب غادر قلب طفله ثم بدأ بالحديث عن المثل والفضائل ناسياً محدثه والرأس الصغير الذي يستقبل حديثه كغزو فضائي للأرض ،

وفي النهاية وافق الأم أن رضاه على أفعاله من رضى الله عليه .

حينها أدرك بحدس الطفل وكأنه ومضٌ واثبٌ في فضاء مدلهم بالغرائب أن الله سلّم أختامه وأعطى سلطته لأمه وأبيه فهما ظله على الأرض .

تعاقبت السنوات على عمره وفي كل مرة حينما يسأل أحداً عن الله يبدأ حديثه بالطلاسم وينهيه بتعيين نفسه السلطة الأرضية لإرادة الله في عليائه ..

اليوم عندما يرى الأطفال يموتون في الجنوب اللبناني .. وفي بغداد ومقاعد صفه تتطاير برفاقه والياسمين السوري يتضرج بالدماء ويشاهد على شاشات التلفزة أصقاع العالم الغارق في حمامات الدم والديمقراطية المعلبة .

يسأل والديه :

-أين يذهب هؤلاء الأطفال ؟

يجيبا بلا تنسيق :

- يذهبون إلى أبيهم الذي في السموات ؟

- وهل الله يحرمهم من اللعب والذهاب إلى المدرسة ليأخذهم ؟

ارتبكت الإجابة وضاعت في انشغالات مفتعلة هرباً من سؤال بدا خنجراً مسموماً في صدريهما ..

بعد عقدين من عمره اكتشف أن الله مختلف عن كل ما سمعه .. تُرى هل تفسير الأشياء يشوهها ؟ هل لو تُركت له حرية الاكتشاف .. لربما أثمرت لؤلؤة مدهشة في قلب صدفة الأعماق ؟

الصوت الظل

استفاقت المملكة كحسناء ثملة مغمضة الأجفان من دموع الخريف المتقدم كطائر مهاجر .

أشعة الصباح الأولى تسللت الحجرة الملكية بخفر وحياء .. فاستفاق سيدها مجللاً بصداح الطيور ورائحة الزهور البرية التي يحب .

وقف على الشرفة وكأنه يتفقد أمراً .. ربما حلماً مازال عالقاً على أجفانه .. وربما هزيمته القاسية ما زالت تحزّ سكينها على رقبته وأعصابه وتقوّض أسوار عرشه ،

كيف سيواجه رعيته بعد أن أخذ أبناءهم إلى حرب خاسرة خاضها إكراماً لرغبة السطوة لا أكثر ..

وها هي أحلامه تعود مهزومة كليمة ملطخة بدماء الجند وعار الانكسار هكذا هجست نفسه الآيلة للانهيار وأفرزت روحه زفرة طويلة صارت أنّة أعقبتها أنّات ،

الحياة ما زالت تزخر باللؤلؤ المنثور على الأعشاب الندية وأوراق الأشجار المتألقة كأقمار تتهاوى .. فتبعث في النفس بعض سكينة ورغبة للخروج من مقصلة الكآبة .

بدا النهر ماساً متدفقاً فوق الصخور الملساء فيتطاير من رذاذه نوارس وحمائم ودفقات شجون .

وقف يتأمل الطيور المحاذية للأفق عبر أسراب الهجرة الأزلية خالها تأخذ قلبه معها إلى مدائن الحنين والعبق .

إحساس بنشوة مختلفة بدأ يسري في عروقه .. لا بدّ أنّ للحرية مذاقا مختلفاً فإنها المرة الأولى بعد أسوار التاج يخرج إلى الحياة لا يمتشق عرشه على كتفيه بكل حاشيته وأكاذيبهم .

بدا الفلاحون غير مكترثين إلا لرائحة التراب البكر والمواسم القادمة .

وقف هناك قرب صخرة كبيرة أشبه بملاك الغابة الحارس والأشجار تطوقها بأسطورة شرقية .

لا شيء يعكر هدوء المكان غير صوت فلاح غاضب يحاول إخراج حماريه العالقين في الطمي .. يشدهما يميناً ..



يقودهما يساراً يدفعهما للأمام .. يجرهما للخلف .. ينهال عليهما ضرباً وكل ذلك دون جدوى .. وكأن الوحول أخذتهما قربانين .

اضطرب الفلاح أمام ورطة لا يعرف لها مخرجاً ولا تلوح لها نهاية .. وقال بصوت مكسور : -لا بدّ أنّ الهلاك عاقبة نهاري وغابت أحلام الحصاد بعد موسم وفير وحراثة جيدة .

انتظر الملك نهاية المشهد الذي بدا سريالياً إلى حد ما حتى إذا ما استبد به الضجر وأمل في نهاية صاح بالفلاح زاجراً :

-أخرجهما يا هذا يكاد الموت يطوق عنقيهما ..

بدت هذه الجملة شرارة بارود على بيدر اليأس اليابس فردّ الأخير حانقاُ :

-وما شأنك أيها المتطفل الثقيل ؟

-أهكذا تخاطب مولاك ؟

أجاب الفلاح ساخراً :

-متطفل ومجنون أيضا.. ألم تختر سوى الملك لتتقمص شخصيته .؟

اغتاظ الملك وقال متحدياً بعيني صقر :

- سترى أيها المجنون من منّا المجنون ؟

اصطكت أوصال الرجل من وقع الصوت وارتجف أمام أقدار تلاعبت به ووضعته في شرك لا فكاك منه فقد أصبح والحمارين في طمي واحد بعد تهديد بدفنه معهما في تربة النهر إن لم يخرجهما سريعاً .

استدار يميناً .. نظر شمالاً .. وراح يفكر كيف ينجو من براثن هذا الغاضب .. ولأن الحياة بقية وللروح حلاوة .. لمع في رأسه بريق أمل بالنجاة فقال بصوت يشبه الهمس :

- يبدو أن لا سبيل لنجاتي غير إخبارك الحقيقة .

- فلتقل .

- هذان الحماران أتظن أنّهما غارقان خطأً يا مولاي ، الحق أني من فعل ذلك عمداً،

- أيها المعتوه كفاك حماقات ولتخرجهما سريعاً وينتهي الأمر

- الصدق ما أقول يا سيدي .. إن الحمارين هذين من سلالة نادرة من الحمير .. وإني زرعتهما لأنهما سيثمران مخلوقات تشبه البشر إلى حد بعيد .

وكغريق وجد قشة في عاصفة هوجاء .. تلقف الملك المهزوم كلام الرجل وراح الأمل يزهر في مملكة لا تغيب عن حدودها شمس ويحدّها حدّ ولا يجرؤ على هيبتها مخلوق .

- ها هو يخوض الحروب لأخذ الثأر من الأعداء الحاقدين وكل ملوك الأرض وسلاطينهم تقبل قدميه خوفاً على رؤوسهم من سطوته وجحافل جيوشه المنتصرة أبداً .

أبناء مملكته ملأوا الأصقاع وتوجوه اسكندراً على قلوبهم وعرش بلادهم إلى زمن لا يعرف نهاية أو نفاد.

في موسم الحصاد وقف الملك مزهواً آملاً بحصاده العجيب

لكن دهاء ثعلبياً لمع في عيني الفلاح قبل أن يجيب بثبات :

- كن صبوراً يا مولاي .. فهذه الثمار ليست كغيرها ولا يمكن أن تجنى بهذه السرعة . فيقفل الملك على

أحلامه ويزرع في الأفق زنبقة أمل بحصاد لزمنه القادم وقد أثمر حماراه مخلوقات تشبه البشر كثيراً لكنها استبدلت نهيقها بتصفيق يملأ الأجواء .

على لحنك أُولف قيثارتي

أطلق العنان في زمن الأساطير كن كما الأطفال .. لا تسأل إن كان معقولاً .. فيمكنك إسراج الضوء وامتلاك البحر وتستطيع أن تكون غيمة تقودها الرياح وحينما تبكي تُزف للأرض مواسم العناق .. هكذا بأعجوبة غادر المارد قمقمه كارهاً الظل والنفس العفن ولعنة سجنته عمراً في الأعماق فقرر زيارة الأرض .. إنه الوحيد الذي يمتلك صفات لا يحفل بها غيره فهو ..

ومض يجعله (يرى ولا يُرى) لا أحد ينتبه لوجوده لا سلطة لأحد على ماضيه أو حاضره لا تسجنه الأوطان ولا يغريه الانتماء إنه ببساطة حر في كل أمر .

تجول في الشوارع والأحياء في المدن القصية في الأزمنة المعقولة وغير المعقولة حاول أن يحاكي قصة أرادها أو تمناها لكن ثمة كآبة اعتصرت روحه عندما أدرك أن الأساطير لا تزور الأرض كثيراً .

وحين باغته الجوع ويبس الماء في عروقه قرر الاستراحة قليلاً وطار ليحط في أقرب مقهى وقف عند الباب كلون يحاول ولوج لوحة .. لا شيء استرعى انتباهه غير ذلك الرجل القصي المزروع أمام طاولة صغيرة

لا أحد سواه يبدو وحيداً ومنسياً وفائضاً عن حاجة الكوكب البائس .

يبدو في العقد الرابع من العمر تعتلي الهموم محياه .. وتستقر على مفرق الشعر فتنتثر ثلجاً غادر القلب واستوطن الرأس .. أشبه برقاص ساعة لا يطال سماء ولا يطأ أرضاً لا هو يرقص وليس مشنوقاً .

يرتشف من فنجان قهوته المرة بتتابع رتيب ويزرع نظراته في الشارع المقابل للواجهة البلورية يراقب المارة ... السيارات ... الأضواء خطوات متسارعة وأخرى متباطئة وأحياناً حائرة .. لا أحد يكترث لشقائه فاستلَّ ورقة وخطّ عليها (أنا بعض احتراق نصف غابة حائرة بين الضوء والغسق)

أصغى المارد إلى صوت أعماقه .. كان يفكر في منزله النائي بزوجته التي حولتها الأيام من عروس بحر إلى سفينة



صماء لا روح فيها .. يتسارع إلى ذهنه مشهد صراخها ولهجتها القاسية المتطلبة كجيوش تحرق أرض الهدوء والسلام .. يعود يتذكرها في اللحظات التي تعاودها انوثتها .. وتبدأ الاتهامات أنه لم يعد يحبها .. ما عاد يشتاق لوجهها ما عادت تغريه ابتسامتها ويقف مستكيناً أمام سيل الأسئلة عن سبب تأخره وشروده الدائم عن وكيف ولماذا وألف ألف علامة تعجب واستفهام بالرغم من إخباره مراراً أنه ما زال يعشقها في برد الشتاء وشرر الصيف بانطفاء الرماد وثورة الجمر كل ذلك دون جدوى .

يتذكر جارته (سمية) الضاجة بأنوثة جارفة كيف تلقي التحية صباحاً بهدوء النبوة تنتظر السيارة كياسمينة غادرت تربتها وتأخذ قلبه معها حينما تمضي كدفق عطر ويتمنى لو أن أعجوبة تحول زوجته إلى بعض (سمية).

يطرق المارد أمام أفكار الرجل الملول .. يأخذ الورقة من أمامه ويخط عليها (السعادة في حديقتك لا تبحث عنها في حديقة الغرباء)

يقرؤها الآخر مصعوقاً باليد التي كتبتها بينما خطوات المخلوق الغريب تترك أثرها في أرجاء المكان .

يجلس المارد على ضفة نهر يستجمع قواه يفكر في الذهاب إلى مكان أكثر فرحاً

يباغته صراخ حاد وجلبة يحاول اقتفاء أثر الصوت إلى أن يصل إلى مكان شديد البياض.

الأسرّة البيضاء والملابس أيضاً وفي الجو رائحة حموضة الأدوية والدماء ..

يدس نفسه بين جمهرة تنتحب .. الزوجة تبكي شريكها الفاقد الوعي إثر خلل في عمل القلب الأم المفجوعة تنتظر ابنها بحرقة وخوف فراق تظنه وشيكاً ..

الأخوة يتحركون كنحلة برية تراود خليتها عساهم يحققون انتصاراً لحياة أخيهم .

وعلى مسافة غير بعيدة تقف امرأة في ريعان البحر والزبد تبكي بألم جارف وصامت . يقترب منها ويهمس في أذنها مَن أنت ؟

خُيل لها أنه صوت القدر فأجابت : - أنا هوى تجسد في آدمية أنثى ، أنا المحكومة بالظلمة حياتي أشبه بفيلم كاميرا يقتلني الضوء ويغتالني العلن .



انظر كيف يجتمعون حوله .. وأنا لا أقدر الاقتراب خطوة بعد .. أنا رفيقة لحظاته الصادقة مَن تهواه إلى آخر قطرات الياسمين .. ضبطتُ زمني على وقع خطواته .

وتجهش في بكاء مرير لا تستيقظ من نوبة شجونها ودفق وجعها إلا على صوت الممرضة تطلب دماً يوافق دمه .. تركض بلهفة سنونو إلى ديارها لا تغيب أكثر من دقائق لتعود مهزومة كنهار باغتته العتمة ..

تهمس بحنق وألم : أيها الحمقى كيف تقولون أن دمي سلبي .. إنسان يحمل كل ما بداخلي من حب وشغف لا يمكن أن يكون دمه إلا إيجابياً وأكثر مما تتصورون .

عاهدته مرة أن أعطيه دمي لأبقى معه وأسكن حجرات قلبه . ملعون مَن صنف الدماء وقال دمي سلبي .

يهمس المارد في أذنها : أتعجب من عشقك ؟

ترد عاطفتها : ما من علامات ترقيم بين القلب وشغافه أو تسأل حقل قمح إن كانت تشقيه السنابل الملآى .. ؟

يصمت المارد أمام أنثى ارتمى القمر في قلبها واستحم في عمق عينيها بينما شفقة تتسامق في روحه على فراشة تهاجم اليد التي تبعدها عن النار .

ويغادر الكائن اللامرئي كنسمة بحرية تترك أثراً دون أن تُمس . بعدها تجول في الذاكرة البشرية في دواخل الناس حينها تشظّت روحه دهشة وألماً فقرر العودة إلى عالمه تاركاً آلاف الحكايا تنتظر مهدياً يسرج عتمتها إلى مسرى الضوء واللون

كهولة جرح

وحيد في بلاد غريبة .. طاعن في الجرح والفراغ .. يمتلك يدين من موت موروث وتاريخ دماء ومقصلة .. الجسد يتوارى خلف دخان قاتم يمشي وراء جنازة .. تبع رجليه خلف نعش لا يعرف لمن أو أين .. فجأة صار أحد المشيعين

تهبط نجمة يبثها قلب غيمة ويزرعها في حقله النائي

شبه صاعقة سرت فأيقظت الجسد الممدد .. ينهض بذعر لا يبدو له مبرراً..

في الدهاليز العميقة يفر دوري وحيد يلتحق بصوت نحاسي يعشش في المصابيح المنسية .. عيونه ترتجف لكن الأنخاب ترتفع وتجترع الحديقة كأس الذاكرة الأخير .

ألف سؤال وفكرة واحتمال .. هناك على حافة النافذة يتسلق الفجر بهدوء غفلة مشتهاة .. يجترع بعض الماء فيبدو علقماً يسري في المسامات ويزداد الحلق جفافاً .

يدير جهاز التلفاز في محاولة لاستجداء بعض تسلية واستحضار سكينة فارقته .

يدور مثل كوكب تائه في مجرة .. يتحول كله إلى عين .. إلى قمر صناعي .. إلى رادار .. يبحث هنا .. يفتش هناك .. يقلب بين المحطات غير مصدق لا بد أنه كابوس .. هل استفاق حقاً ؟

يرشح من التلفاز صوت المكان باكياً منتحباً .. تكاد الحوامض الكاوية تخترق فضاء الكون .. يصرخ ملء المجرة .. غير معقول .. فيمطر السقف المعلق خناجر بروتوس ودماء مغدورة .

الأرصفة تئن والدم يأكل العطر والشجر . يهرع إلى الهاتف متعثراً بكل ما في الكون من مجازر وحروب ..

الخطوط مشغولة .. ودقات القلب تكاد تغادر النبض المتبقي .. يحاول الاتصال مجدداً .. عبر هاتفه النقال .. الخطوط مشغولة ...

- (ترفقي أيتها المسافات)



وبين انشغال الخطوط وتفجر الأعصاب يدور رأسه بحركة أشبه بصب الماء المثلج على حمى ذاكرة ممسوسة .

تذكر يوم قاده القدر إلى هذه الأرض الجوفاء ، رأى دمعة أمه العجوز تحضر بإلحاح عاصفة ..

-أكثري من دعائك فهو زادي في غربتي .. وعندما أعود ..

لم يستطع أن يكمل جملتها في حضرة ألمها ودموعها .

-عندما تعود سيزداد عدد زجاجات الدواء وسيحلق النبض ضاغطاً على ما بقي من قلب .. وس .. وس .. وس

أطرق دون أن ينطق فهو يحفظ قلبها عن ظهر قلب .

يقترب من ولده مودعاً .. يسأل الطفل ببراءة الصغار .. هل في بلادك البعيدة تمطر السماء ذهباً .. إذاً هل سماؤنا لا تحمل مثل هذه الغيوم المعطاءة .؟

يبتسم مدارياً ملوحة تلثم الأهداب وحرقة تستوطن الحلق .

يعود إلى مراقبة التلفاز .. الأخبار العاجلة المتخمة بأعداد الضحايا تصيب الرأس بهستيريا الفقد .. يخبئ عينيه بكلتا

يديه خوفاً من رؤية أحد أهله .. أو أصدقائه أو أي شخص يعرفه أو لم يعرفه في بقعة هذا النزيف .

ويحاول مجدداً الاتصال .. تنجح المحاولات ، يرن الهاتف .. يتعالى الرنين .. يتقطع يتوقف القلب برهة

-فليجب أحد إكراماً لله ليجب أحد .. ولا يجيب وتعود الأخبار العاجلة لتعشش في الأعصاب بركاناً .

يقوم إلى المرآة يتفقد ملامحه .. يرى طفله مبهوراً بغيمة تغازل نهراً .. ويبكي (عروسة الزعتر) التي حضرتها أمه وغادرت كفراشة تستحم بشمس .

انبثقت ذكريات لا تبدو متسقة .. خيال فسيح عابق بالهروب والنأي والضوضاء .. سحب أوهى من خيوط العنكبوت .

من أين هبطت مافيات الموت ؟ أي أمجاد مزيفة وابتهالات حمقاء محصنة بالبنادق في ذلك الزمن الأسود .؟

في ذلك الصباح كان الهلع يعرش على الناس والأمكنة والإيقاعات المفزعة تحتل النفوس والشائعات والأشلاء تطوق المدينة .

بالأمس اشترى لولده أقلاماً ملونة ودفاتر ذات أشكال وألوان زاهية .

ففي آخر اتصال سأله عما يرغبه من هدايا فأجاب :

- **أريد بحراً وسفينة .. ضحك حينها ولم يدرك أي خيال استحوذ على العقل الصغير ولم يتوقع أنها نبوءة .**

أمام التلفاز بدت الأشلاء أضواء تتعالى إلى بارئها بعد أن كُتمت ضحكات الأطفال بالشمع الأسود .. وبابا نويل ملأ جعبته متفجرات وعويل وخنادق ظلمة .

ويستحيل المكان جحيماً ، ويرشح من الجدران رايات ممسوخة والمرتزقة يطلبون لأمجاد التلاشي والانصهار .

من بين الركام تمشي صاعقة بجوار وردة في طور الابتداء ويطل وجه طفل ضيعت ملامحه الدماء .. تقترب السماء أكثر تُفتح مساحات الملكوت ليصلي النور في محراب الله صلاة وداع .

وتنمو أزهارهم في تربة ميتاتنا وشفاه شققها الأنين ..

تقبض الأنامل الطفلة على ما تبقى من (عروسة الزعتر) وتتصاعد الروح بأجنحة ترسم جسراً لمواسم العبق والضوء بعيدا عن آثام أهل الأرض وقمصانهم .

بين رصاصتين

ويفعلُ صوتكَ في قلبي ما يفجّره النشيدُ الوطنيُ في قلب مغترب .

فكيف سأصمدُ أمامك ، وأقولُ ، قبل أن أنـهارَ إني سأكملُ بمفردي ؟

كيف سأجتثّكَ من ضلوعي ؟

أيُّ طريقٍ مقيتٍ ، سيلفّ خطواتي التائـهة ؟

دخلتَ قلبي لاجئاً والآن ، أُعلنتُ مدينةً منكوبة ..

تذكّرت ، حين سألتني إحدى الصديقات ، إن كنتُ ، وقعتُ في الحب – فالحب كالشمس ، لا يُخبأ في جيب –

أقسمتُ وأغلظتُ في القسم ، أني لم أقع في الحب . وبابتسامة ماكرةٍ ، قلت :

-إني أطيرُ بالحب ، أحلقُ به ، وأصيرُ فراشة ..

كيف أنسى تلك الليلة من ليالي الخريف ، بأضوائها المختلطةِ مع عبقِ الياسمينِ؟!

كان لقاؤنا شبهَ الأخير في ظلِ شارعٍ مسورٍ بالسماء ...

تمنيتُ أن أذوبَ في خطوط يده ، وأصلي أن يتوقفَ الزمنُ ، ويتلو العمرُ مراسمَ الشوق مفردة مفردة ، فتذوبُ المسافةُ بين شهقةِ ضوءٍ ، وسبعُ سنبلاتٍ عجافٍ .

أدركُ تماماً أن ما ينبتُ في مفصلِ صخرة الروح ، سيضيئُ ألفَ عامٍ قادم . لكن ، ثمةَ خطوةٌ ناقصةٌ أبداً بيننا ..

وقفتُ مذهولة أمام أمي ، التي تخلت عن رزانتها وهدوئها المعتاد ، وحاصرتني بإحدى رسائله غاضبةً مهتاجة .

-تحبين هذا الغريب ؟

-غريب ؟؟!! هذا الغريب هو من كنتِ توكلينه بمرافقتي لحمايتي ، من كبرتُ معه شبراً شبراً ، وتقاسمتُ معه طفولة وشباباً ، وكل الحياة ، من سيّجني صوته في أماسي الذاكرة ، وحفظت تفاصيل أيامه عن ظهر قلب ، من غرس في ذاتي الدهشة والحب والأمان .

-هذا كان سابقاً ، قبل أن ينمو الدم بيننا .. قبل أن تُزهق روح والدك ، على أيدي من يشاركهم اللون والانتماء .

-أي انتماء ؟!! إن كان لا يعترف به أبداً ؟!

أمي هو ذلك الشقي ، الذي كان يلعب معنا دائماً ، ويلاطف أخي الصغير ، فيضحك مطولاً .. إنه رفيق تفاصيل كثيرة محفورة في أيامي ...

-هذا يكفي .. الحب لا ينمو على القتل واليتم .

-ربما الحب سيهدم الفجوة ، ويرسم سماء صافية ملونة بقوس فرح .

- سيلاحقك دمُ والدك ، ما حييتِ ، لن يسامحك أبداً ، وأنا كذلك .

ويتوقف دفق الوجع ، حين يطل طيفه البهي .. يشعل الصبح في دمي ، يصب اللهيب في عمق انتمائي ...

بيننا أقل من مترٍ مسافة ، وألف كلمة في حجرة الإطلاق ، لكن الزناد صدئ كجندي مهزوم .

يبادر :

- هل ستستطيعين النسيان ؟

- ربما .

- هل من فرصة أخرى ؟

- وما الجدوى ؟ انظر حولك .. آلاف الجدران ، التي تخبئ قصصاً وغصات ، تنمو في النفوس شجرة زقوم .

أين ضحكاتنا الصغيرة ؟ أين أطراف المطر الشفيف ؟

انظر حولك ، كيف حولتنا الحرب إلى خصمين ؟! كل يوم ، ننتظر جرحاً يغفو بين خيبة وأخرى .

-تذكرين كم مرة أفسدتِ فيها علبة سجائري . كنت تخافين علي حتى من دخان السجائر . والآن ستغادرين ؟؟

- ثمة أشياء مضرة بالصحة أكثر .

نظر بكبرياء متصنعاً اللامبالاة ، وقال بعجرفة الانتقام :

-الحياة لا تقف عند أحد .

همست بانكسار :

-لكن القلب ، يقف عند من نحب .

واستدرنا ، ومشينا في اتجاهين مختلفين إلى مجرتين نائيتين

مشيت من دون أدنى التفاتة ، خوفاً من استجداء رأفة من حبيب ، منذ برهة صار غريباً .

مضى ، ومضيتُ .

في الهزيع الأخير من الطريق ، الرصاص يخترق صدر المساء .

لم أدرِ بنفسي إلا راكضة إليه .. يعانقني باحتواء ، أتحسسه بفرحِ أنه مازال حياً ..

أشهق باكية :

-وجودك يمنحني الحياة ، فلمَ أطلت الغياب ؟

يبتسم .. ونمشي على شفا رصاصتين

شرح يطول

يفصل بيننا متر من خشب ، وقلب منزوع الصبر وسبعون أمل .

يُخرج أوراقاً ، تحاليلاً طبيّة ، صوراً شعاعية ...

يخبرني بما لا يدعُ مجالاً للشك :

- **هذه هي الحالة ، وأنتِ طبيبة ، وتعرفين .**
- **طبيبة ؟؟ ولكني أم.**
- **الحمد لله على السلامة ، اعذريني ، هذا قدر محتوم .**

وغادرت متعثرة بوجه ، قبل أيام ، كان يعطّر الفجر . أحمل طفلتي ، ألحق تراتيل العشب في آخر المطر ، أعلم أنه سيقودني إلى الله ، ربّما ، بكلمة سرّ سيُشقّ البحر .

قبل أربعة أيام تماماً ، أكملت صغيرتي شهرها الثالث ، قبل ثلاثة وسبعين ساعة ، وها هي تغفو بين ذراعي ، وأسير .. تقودني خطواتي إلى الحديقة القريبة .

أجلس على مقعد ، بدا مترهّلاً بذاكرة الناس والفصول ، على طرفه عجوز ، تنسج شالاً صوفيّاً، كالذي دثّرني لسنوات ،

وفيه رائحة عمر منصرم ، وذكريات أمهات ، نسجن أحلاماً صغيرة .
تبادرني بالسؤال :
-صبيّ أم بنت ؟
أجيب :
-بنت .
- ما اسمها ؟
- أنا ...
تستغرب العجوز ، وتصمت ، وأبدأ بسرد حكاية ، طالما أردت أن أحكيها لغريب . أنهي حديثي ، وتنتهي معرفتي به ، فيأخذ كلماتي ، ويذروها من قمّة شاهقة النسيان .
ابنتي مثلي وحيدة ، أبي صورة مبتسمة في إطار ..
أمّي شقيّة بما تحمل من أريج منكسر ، وردة دمع في أول الندى ، وآخر الأوراق من دفتر النوم .
-لماذا تبكين ؟
الأولاد ذهبوا إلى العمر ، وأنا لا لون لي ، وقلبي هزيل .
كبرتُ بصوت مهجور . عناقيد روحي محبوسة فيّ في جدائل الزبد .
وأمّي آهِ أمّي ... هل أشي بالسرّ ؟ لن أشي بالسرّ .

أمّي شجرة يابسة في إطار حيويّ ، وطفولتي حافية القدمين ، ضائعة المعالم ، كفيلم أصابه البلل ، فتلاشت صوره ، وتشوّهت .

ما أذكره ، أنّي دخلت كليّة الطبّ . ولا أدري لمَ ؟ ولن أقول ، كما يُلقّن الأطفال ، فأنا لا أعرف سبباً حقيقيّاً لذلك .

إلهي .. مُدّني أكثر بفيض لطفك ، فسمائي صغيرة كما روحي ...

تومئ العجوز ، أن أكمل :

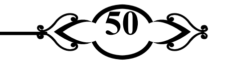
-تخرّجت من الجامعة ، ومضت سنوات دراسة صعبة ومملّة ، وكأنّ هذه الأعوام ، سقطت في قرارة الذاكرة .

وتزوجتُ ..

بدا عالمي الجديد بوّابة عبور لحياة ، كنتُ أفتحُ باب صلاتي شكراً لنافذة خضراء ، ومدفأة ، تجلس في حضرة اللغة ، وتسافر فيَّ إلى مدن غناء عتيق .

ونمت ابنتي في داخلي . جسد لا غلاف له سوى روحي . ومض سقط من السماء ووقع في قلبي . تركت اتّساع الأرض ، وشيّدت برجها في عمق ذاتي .

في المشفى ، صرخت روح من روحي بداية طريق ، استكانت في حضن والدها – عالياً كان برج النهار – بدا



الجسد الصغير امتداداً لجسده ، لون عينيهما ، ملامح الوجه ، والابتسامة نفسها .
وعندما بدأت أتصالح مع الزمن ، بعد خصام طويل . داهمني ذلك المغيب ، حين خرج (فرح العمر) لإحضار احتياجات صغيرة ، وضاع في أرض ضيّقة ، وكون واسع .
تشيح العجوز بوجهها مدارية حزناً يستطيل ، تضع الشال الصوفيّ ، وتقول :
- لروحه الرحمة .
يغلّفنا الصمت قليلاً ، ويكمل الفقد حديثه .
تكبر طفلتي كضوء تسلّل حبّة القلب ،
تصوّري ، في إحدى الليالي ، حلم زارني – وقلّما تراودني الأحلام – رأيته يغفو بجوارنا على هيئة نرجسة ، وهذا ما حدث حقّاً ، فقد أمطرت السماء قذائف حقد ، وكنّا ضمن مداها المجدي .
بعد زمن ، لا أدرك مقاييسه ، صحوتُ برجلٍ مكسورة ، وازرقاق في كلّ الجسد ، وشظيّة ، اخترقت روحي عبر العمود الفقريّ لصغيرتي .
لم تستطع العجوز تمالك نفسها ، تجهش :
-يا إلهي رحمتك .. وما الحل ؟؟

أجرّ ألمي وجيوش انكساري ، وأقفل عائدة ، ودموعها العاجزة سجّادة طريقي .
على درج الطائرة ، ملأتُ سلّتي بالنجوم المتعبة على عتبات الأمل .
شرحتُ للجرّاح حالتها تماماً ، وكنت قادرة بما أملك من مخزون طبّيّ ، أن أقنعه بإجراء جراحة ، تنصّل منها كل أطباء الضاد، على أنّها غير مجدية .
أمام غرفة العمليات ، صليّتُ كثيراً ، رأيتُ بيتنا البعيد ، حيث الزيتونة لا تنام .
خرج الطبيب بعد انتظار ، قطّع أوصالي . دعاني إلى مكتب قصيّ . بدا متعباً بملامح خشبيّة :
سيّدتي .. أنا آسف ، لم تحتمل كلّ هذا الدمار .
بصمتٍ ، انهارت ينابيع حارقة ، وسلّمتُ أمرها لسماء ، ستكون بيتها الأبهى .
احتضنتُها ، وروحها العذبة ، تهمس لي : أشكرك أمّي ، لم توفّري جهداً لاستبقائي . لكن أبي وحيد هناك .
وراحت تلحق أسراب الضوء ، وتنسج غابات من حنين بنكهة أيلول ، بينما قلبي يمارس طقسه اليوميّ كدرويش في أماسي الشوق ، يعتمر وطناً من وجع .

ماذا لو ؟

رحم الله جدتي ، كانت تقول دائماً : " الجنة بلا ناس ما تنداس " ، أتراها تقصد أيّ ناس ؟! أم جذور الروح وشمس القلب ؟!

المكان رائع ، شديد السحر ، لا يحدّه وصف ، ولا تحيط بعظمته لغة .

لكنّ الحنين يوجع ، إذا تمكّن ، وأنا استبدّ بي الشوق ، واستحكم .

مددت يدي إلى يد رفيقي ، مستجدياً حلّاً لما يضجّ بداخلي .

قلتُ هامساً :

-اشتقت لهم ، لزوجتي ، لأولادي ، لرائحة أمّي ، كم أشتاقُ لعناقها ، لأكفكف دمعها ، وأطلب السماح ، وأقبّل يدها معتذراً .

وعدتها أن أعود . لكنّ الدرب قادني إلى المدى ، وغدر بي الزمن .

أريد أن أزيح قهراً ، تربّص بقلب أبي ، يخفيه بملامح رزينة ، ودمعة مكتومة ، يغلّفها بدعاء وصبر جميل .

-وكيف ستغادر ؟! أتظنّ أنّك تستطيع ؟ أتظنّ نفسك في القطعة العسكريّة ؟

-تلك البوابة ، ليست مشدّدة الحراسة كثيراً . سأغادر للحظات .

أنسيتَ أنّ التوقيت بين هنا والدنيا ، يختلف كثيراً!

الدقائق تعادل أياماً على الأرض .

-لن تستطيع .

- بلى سأقدر .

وطرتُ ممتشقاً سرعة الأثير ، وصفات تجعلني ومضاً (يرى ولا يُرى).

كعصفور ، وقفت أرقبهم من خلف زجاج مكسور كلون يحاول ولوج اللوحة .

زوجتي الصبيّة اليانعة ، كيف تحوّلت إلى جذع يابس ؟ صورتي أيقونة معلّقة على صدرها . الصورة نفسها ، تغطّي نصف الحائط تقريباً ، وتميل على ملامحي شريطة حداد سوداء ، لا يلوح له نهاية .

ملامحها الحزينة ، فطرت قلبي . تلك الغالية ، التي وعدتها أن أؤسّس لها بيتاً من أمان ومستقبل وردي .

تذكّرت كم أغرتني براءتها ، طفولة وجهها . كان يكفي أن أسند رأسي على كتفها ليستقيم العالم .

وها هو شقاؤها ، يمتدّ، ويستطيل . كيف تحوّلت من قصيدة عصماء إلى مرثية ؟ وأيّامها موج يتراكض ، وعمر يلمّ الخطا ، ويطوي صفحة عشّاق ، يتركون حكاياته ، ويغادرون .

تُمسك كتاب ابننا ، كم كبر في غيابي! تتفقّد واجباته المدرسيّة ، تثني عليه ، وتقول :

-سيفخر بك والدك كثيراً .إنه يراك من السماء ويبتسم .



وتطبع على جبينه قبلة .

أردتُ أن أصرخ أن أقتحم فضاء الغرفة أن أقول :

-أنا أراك ، وحقّاً فخور بك . لكنّ النسمات الباردة تلفح أمنيتي .

بجوار الموقدة المشتعلة ، الحطب يئنّ ، تغفو طفلة شقراء ، يا لجمالها ! أتراها تعرفني إن اقتربتُ منها ؟! هل تعرف ملامحي ؟ هل أستطيع أن أحميها ، وأزيح برداً ، يتقدّم بخطا شتاء قارس ؟

ليتني أستطيع أن أغطّيها بأهدابي ، أقبّلها ، أداعب وجنتيها ، ألمس أصابعها الغضّة ، أعلّمها أن تنادي بابا ...

صحيح .. أتراها تعرف معنى هذه الحروف ؟ وهل تعرف كيف يكون هذا المخلوق الغائب ؟ وما هو هذا الـ بابا ؟

أحسّ بحرقة خانقة ، تكاد تحوّلني إلى رماد ، من زاوية النافذة المكسورة ، رأيتُ طعاماً في صحن صغير . بقايا ما تجود به تلك المعونات المشوبة بآلاف الغصّات ، ودموع الانتظار الطويل تحت حرّ الشمس وضراوة البرد .



وكيف يتغير الوضع ، وتشرق الوجوه ، ويوزّع اللطف هداياه أمام كاميرات التصوير .

ما أقبح الحاجة ، التي تستنزف أرواحاً وبقايا حياة !!

ليتني أستطيع ، أن أعتذر لها عن أمانة ثقيلة ، عن حلم أشبه بقلعة رمل على شاطئ .

هل كان مستحيلاً ، أن أمشي مع خطط المستقبل في خطّ مستقيم ؟ كم أردت أن أقلب الموازين ، أن أبدأ علاقتنا من النهاية .

نفترق ، ثمّ نلتقي إلى الأبد . أم ترانا قطارين على سكّتين متجاورتين ، لا نلتقي إلّا بكارثة أو فراق ؟!

ولأن الوقت لم يكن معي ، كان في قصر الطفولة في هواء الجبل .

طرت إلى هناك ، بيتنا على القمّة . شجرة الليمون أمام الباب مباشرة ، وياسمينة زرعتها أمي ذات ربيع . على كرسيّه الأثير ، يجلس أبي . يدحرج العمر في حبّات مسبحة ، كنت قد أهديته أيّاها ، بعد إحدى زياراتي إلى دمشق ، يوم عدت ضابطاً ، والنجوم تغفو على كتفي .

أردتُ أن يتذكّرني في كلّ صلاة . ما زالت إشراقة عينيه مزروعة في عمق روحي ، وهو يقول بفخر نسر :

-أخيراً رأيتك بالرتب البهية .

أكاد أسمع تنهدّاته . أقترب منه ، أردت أن يحسّ بوجودي . انتفض ، اهتاج . حرتُ كثيراً . أتراني عدت مرئيّاً ، أم عدت إلى الحياة ؟!

وقف أبي ، استغفر الله ، وكأنّه يراني . اتّجه إلى طيفي باسماً ، وقال :

-الرحمة لروحك بنيّ.

وكما كنت أفعل دائماً ، أدخل البيت ، أسأل عن أمي . ليس لأيّ غاية أو حاجة ، مجرّد وجودها كان يكفي .

حقّاً أين أمّي ؟ لا أراها .

لم أستدلّ على وجودها ، إلا من صوت نحيب قريب ، رائحة البخور ، تعبق في المكان . ها هي تسقي زهور القرنفل – زهوري المفضّلة – وعلى صينيّة نحاسيّة صغيرة ، وضعت فنجانين ، سكبت فنجاناً ، راحت ترشفه بغصّة ، وسكبت لي



فنجاناً ، ثمّ دعتني إلى مشاركتها من تحت التراب . بيديها العجوزتين ، راحت تتلمّس حروف اسمي على شاخصة رخاميّة . اقتربت منها ، وقلبي يقول : ليتك تسمعينني . أيّ ريّ يروي القلب غير حضنك ؟! أيّ عمر يستحق الأسف ، إن لم يملأ وجودك فراغي ؟! ما زالت حرارة جسدك، تمسكني على طريق المدرسة الابتدائية .

كم أفتقد طعم الحب في " عروسة الزعتر " ؟ أتذكرين كم ضحكنا ، عندما سبقتك الزغاريد ، يوم نجاحي في الاعداديّة ، قلتِ يومئذ : الزغاريد صوت ضحك القلب . ويوم تخرّجي من المدرسة الثانويّة ، أتذكرين ؟ ويوم .. ويوم أفراحي الصغيرة وإنجازاتي الكبيرة ..

كم كنتِ بهيّة ومختلفة كشمس شتاء ، تشعّ عيناك ، وأنتِ بين الضيوف ، ترقبين عرض تخرّجي من الكليّة العسكريّة . نظرتك الحنونة ، سيّجتني بسورة الحبّ وفاتحة الدعاء .

وتعود ضحكتك ، تعانق السموات السبع يوم زفافي . آهٍ يا أميّ ، كم أتمنى أن أشاركك فنجان القهوة ، وأصير مرآة بين يديك .

وبخفّة الأثير ، تجوّلت في كلّ منازل الأحبّة ، المدرسة ، الطرقات ، البيوت ، ولكن .. لن أغادر حتى أراه عبر ممر طويل وأنيق . الإضاءة على جانبيه ، ويفضي إلى قاعة كبيرة ، خلف مكتب فخم ، يمجّ سيجارة بعمق .

أردت أن أعاتبه ، أن أشكي حال زوجتي وأولادي . أردت أن أخترق جدار الصوت ..

أردتُ ، وأردتُ ، وأردتُ . ولكن ..

الخيبة لا تتّسع . واللحم المغدور ، ذاكرته لا تحتفظ إلاّ بالنزيف .

حينئذ ، علا صوت عرس لشهيد قادم . انبرى مسرعاً ، فلا يمكن لصورة ، أن تكتمل بلا دمعته الحاضرة حسب الطلب .

احتضنتُ روح الوافد الجديد ممتلئاً بالوجود ، كصلاة فجر ، وأذان يتنفّس ، وعرّجنا إلى مسرى الضوء ، بعيداً عن آثام أهل الأرض ، وسوادهم .

سماء ثامنة

سبحان الذي أمر الألوان ، أن تسجد في قلبي ، إلّا البياض ، فأقرأ باسم الحنطة ، التي تعصر الجوع ، ومدامعي ، التي تعمّد الغيم ...

فينبت لي جناحان من بكاء ، وتفتح الروح إلى سبع بوّابات ، فأتذكّر وجوهاً برائحة الفراق ، وأحلاماً ، راودتني منذ الطفولة ، ولم يعرف السأمُ إليها طريقاً .

كنت أحلم ككلّ الأطفال ، بساعة ملونة . يدور في فلكها عقربان ، لا يشبهان السكاكين ، التي أخذت أختي إلى السماء .

فقد رأت عمّتي – رحمها الله – وربما لا . أنّ بطن أختي منتفخة و بما يزرع الشيطان في عيون الناس وعقولهم ، وأنّها جميلة وصغيرة ، والغواية هوّة كبيرة ، تلتهم من دون حساب .

إلى أن غسلت ظنونها في دمها ، وهروب أخي في بلاد الله الواسعة ، لتكتشف ، لاحقاً ، أنّ مرضاً ألمّ بالقتيلة ، فغابت أمّي الغياب ذاته قهراً وغيظاً .

أمّا أبي ، فقد كان يؤمن بالله كثيراً . فتكدّست أجسادنا الصغيرة داخل جدران ضيّقة ، لأنّ قتل النفس حرام ، والرزق على الله .

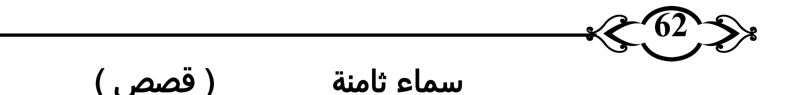
وها أنا أحاول فك شيفرة وجودي ، من أنا ؟ ماذا أفعل ؟ أنفث دخان السجائر ، مع أنّي أكرهها .

طفولتي كانت بستاناً لأحلامي .

فقد حلمت برائحة الخبز الطازج ، الذي يعطّر الفجر ، ويزرع الشمس في الأفق الشرقيّ ، فيسيل الشعاع جناحين ، تحملهما يداي ، فأطير فوق السهول والبحار ، أرافق الطيور عبر أسرابها .

ومرّ العمر .

بعد ستّة أعوام ، وجدت نفسي في المدرسة . وبدأت المخاوف تدقّ إسفينها في رأسي . المعلّم الغاضب ، وعصاه الطويلة .نصائح أبي ومحرّماته المئة . وجدّي وأمنياته .



كبرت ، كما أرادوا ، مخلوقاً طيّباً للغاية . الثورة في داخلي موصدة . والتمرّد ، يفتح أبواب جهنّم .

أظلّ في جنة الحائط ، أنمو سرخساً صغيراً ، تكفيه الرطوبة ، وتغنيه عن الماء . وبقيت أحلم ...

لأجد عمري غدا من منزلتين ، وكبرت مجدّداً ، وأقسم بالله من دون رغبة منّي بذلك .

شذّبت أوردتي حسب مشيئتهم . في المراهقة ، حلمت بأشياء كثيرة ، بالحبّ والورد والدخان والخمر .

الخمر ، الذي يجعل جارنا ، يدور طرباً ، ويغني ، ويضحك كثيراً وكأنّ الأبخرة تتصاعد من رأسه كقطار .

وظلّت الحياة ، تراكم أرقامها فوق رأسي ، وينوء كاهلي بأعوام لا فائدة منها .

في المدرسة الثانويّة ، كنت رقماً أيضاً . أهدر سنوات من زمن ، خلق ليسفح . في قلبي محطّة قطار ، لا تعي من يأتي ، ومن لا يأتي ! أجلس دوماً في المقعد الاحتياطيّ للحلم . تتعفّر روحي بضباب الصباحات الباردة ، فيتكدّس الصقيع في نهايات الأعصاب لصبيّة ، تنسج ثورة عواطفها ، وتطرّز

أحاسيسها وظمأها الشاهق للحياة ، رداء شوك لدمية الممنوع .

وذهبت إلى الجامعة بذاكرة ، تسع البحار الجديدة ، ذاكرة تسع الكائنات كلّها ، وتعيد الجهاتِ إلى دمي مدناً من هواء وخبز ونبيذ .

كنت أحلم ، ككلّ الفتيات ، بشابّ ، يحمل لي المساء زجاجة عطر ، بجسد من شجر ، لا يحدّه الأفق .

وتضاءل الحلم كظلّ في وقت الظهيرة . وصرت أحلم بوطن من القهوة المرّة .

راحت الأمنيات ، تملأ ثغرة روحي . يأتي فارسي على صهوة جواده . يخطفني إلى مملكته المسوّرة بالشمس ، فيفرز الحبّ أطفالاً بلون القمح ، وعذوبة الينابيع .

في ذلك المقهى ،الذي يدلف أربع درجات رخامّية ، تحت مستوى شارع ، يعجّ بخطوات متلاحقة .. أجلس قبالته ، بجسده الممتلئ قليلاً ، وشعره المتناثر على جبهته ، وعينين بلون القهوة .

صوته أشبه بجرس كنيسة في صباح أحد ، يُقرع ، ليهتّز عرش روحي . غرقت في شاعريته ، براءة مشاعره الطفوليّة . شهور من الانبهار العشقيّ ، في حقل ألغام عاطفيّ . وكلّ الفصول تتعاقب في دمي ، إلى أن سقط قلبي خريفاً ، فقد غاب لأيّام ، وما زال السؤال أكبر من بيادر الإجابة !!

إلى أن مات الترقّب بيننا ، فلا هو يتوقّع صوتي ، ولا هاتفي ينتظره .

وها أنا في الهزيع الأخير من العمر . لا أحسب الوقت ، وما حاجتي لذلك ، إن كان الحساب سيدفع دفعة واحدة ؟!

في غرفتي الشرقيّة الخاضعة لوصاية أخي الصغير ، في الخمسين من عمر سريع سيوقدون الشمع ، وسأفرح بأقصى ما أستطيع من انكسار الأقداح .

من المذياع والتلفاز والحارات والسماء والتراب ، تصدح أغانٍ ، تمجّد الأمّ في يوم ربيعيّ.

يوم واحد ، يكفي لكلّ هذا التعب . يوم واحد ، لنتحسّس درب الشقاء .

كان يكفيني هذا اليوم ، ليرقد الجمر في يدي ، وألوّن فراشة حقيقيّة ، خارج بساتين الرياء والشفقة .

الأصوات تصهل في الخارج سنويّاً ، لا أكثر .

سأفتح الباب . سأقول لهم : أكره هذا العيد ، فأنا لست أمّاً ويتيمة .

يزداد الرنين ، ويشتعل فتيل الحرب بين قلبي وعقلي . يعانقني الشتاء القارس ، يجمع شظايا روحي ، يرتشف نبيذه معي . يخفت الرنين . ينام الضجيج . تراودني أغنية قديمة ، مطلعها :

*جرح في ضهر الحصان تحت السرج متداري

لا الحصان يقول آه ولا الخيال داري .*

خارج السرب

نزعت سكينها من ثنايا ضلوعه ، فبدت الجثّة نافورة دم على السرير البارد . على بعد خطوة واحدة ، تصرخ ملء الصوت : كيف حدث ذلك ؟ أيّة عاصة غاضبة ، رعدت بي ؟ أيّ شيطان ، راودني ، فأحنيت له رأسي أوّل اقتراب ؟ تنهض مذعورة ممزّقة ، تمدّ يدها المضطربة ، فتلقي كلّ ما على الطاولة من أشياء ، تتبعثر في المكان .

وضعت رأسها تحت الماء ، وهزّته بقوّة ، لتسقط كوابيس وأفكاراً مجنونة .

في مطبخها الصغير ، بدت كجزء منه . وما الفرق بينها وبين هذه الأواني ! بدأت بترتيب علب موزّعة في كلّ مكان . تلك العلب بمحتوياتها أشبه بعمرها ، خيبات وهزائم وانكسارات بألوان وأحجام وروائح مختلفة ، بالطعم اللاذع نفسه .

على نار هادئة ، بدأت بتحضير القهوة . رائحة الهال تطوف في المكان كملاك منقذ.

بالرغم من ذلك ، أحسّت بانقباض قاتل .

يا لهذا الطقس اليوميّ ذي السنوات العشر ، كم مرعبة التفاصيل اليوميّة !

وكقطعة حديد متوهّجة في إناء ماء ، اهتاجت الذاكرة وأفرزت سؤالاً متفجراً :

-هل ما عاشته عمر أم كابوس ، يرين على موت محتّم ؟!

دخلت غرفة نومها . صورة زفافهما ، تطلّ خجولة ، كزهرة مغسولة بالليل والصمت .

تفتح الخزانة ، فيطالعها صرير أشبه بشهقة الوداع ، تلك الثياب اختارتها بصحبته وضمّت جسدها لأجله ، وصارت رفيقتها لكلّ لقاء يجمعهما .

رائحة العطر تناسب مزاجه ، وتختزل أنوثتها لأجله . تتذكّر صوت طفولتها - مرصودة أنت لحزن عظيم –

لم تجهل ذلك يوماً ، وكنداءات الغجر ، تعرف أنّها وحيدة حتّى العظم ، لا تستطيع التصديق .

من أين جاءتها هذه القوّة ، لتقرّر ذلك ؟ ستعزف لحناً منفرداً ، فقد نزعت فتيل تلك القنبلة الموقوتة المزروعة في صدرها .

لم تكن تتوقع ، أن يزورها يوم كهذا ، أن تتبنّى قراراً متفجّراً لهذا الحدّ .

من دون أن تقصد ، تلاقت عيناها بعيني أمّها المسيجّتين بالأصفاد والإطارات ، أمّها الرافضة لفكرة طلاقها رفضاً قاطعاً ، فالعائلة والأقارب والدنيا والدين ، سيتهدّمون إن هي انعتقت . إن رفضت أن تكون رقماً ستذهب إلى هاوية الصفر . وتصرخ ملء الروح : الضمادات الملوّثة ، تعضّ الجرح . سأشقّ طريق خلاصي ، السرير المستباح كفن . سأختزله ، وليكن آدم غيري .

وبإصرار النسور ، تقرّر المضيّ بخيارها ، غير آبهة بعيون واشية ، وأخرى لائمة ، وأحياناً شامتة ، ستمضي إلى الأمام من دون أدنى التفاتة إلى الوراء .

طرقات عنيفة على الباب . تقفز متعثّرة بالأثاث والهواجس .

وقفت أمام الشرطيّ بذهول ، وحين سألها عن اسمها ، واسم زوجها ، أجابت بتلعثم ، بينما شرنقة الروح تغادر الجسد.

في المشفى ، أخرجوا جسده من مكان ضيّق ، يشتعل برودة ، سألها الطبيب :

-هل تعرفين هذه الجثّة ؟!

أومأ قلبها بالإيجاب .

- نأسف سيّدتي ، لقد تعرّض زوجك لحادث ، وقضى هو ، ومَنْ كانت معه .

من درج مهترئ ، أعطوها أوراقه وأشياءه الشخصيّة .

خرجت من الباب الضيّق ، وشفتاها تتمتمان :

- نعم إنها جثّته .

رسائل إلى الله

كتبنا

***آدم (9) سنوات ***

أعرف أنّك تحبّني ، كما أحبّك تماماً ، فأنا أخبرك كلّ أسراري ، فقط ، أنت وأمّيّ .

***حنين (7)سنوات ***

أرجو أن تساعد والدي في عمله ، ليعود إلى البيت باكراً ، فألعب معه . أشتاقه كثيراً ، ولكنّه مسكين ، يأتي متأخّراً ومتعباً .

*ياسمين (10) سنوات *

أسألك أن تسامح صديقتي ، لأنّها تأخذ أقلامي ، وبعض قطع الحلوى من حقيبتي . أنا أسامحها . أرجو أن تسامحها أنت أيضاً ، لأنّ أمّي أخبرتني ، أنّك لا تحب السارقين .

*سامي (7) سنوات *

قطتي مريضة منذ الأمس . أظنّ أنّها أكلت طعاماً ملوّثاً بالجراثيم .

لماذا خلقت الجراثيم ؟ أرجوك اشفِ قطّتي .

*كريم (8) سنوات *

أمي تقول عنك أشياء جميلة ، وكلّما أذهب إلى المدرسة توكلك بمرافقتي ، أتمنّى أن آتي إليك قريباً .

***رهف (6) سنوات ***

كنتُ سابقاً أحبّك كثيراً . لكنّي الآن أخاصمك ، فقد أخذتَ أمي وأبي وسيارتنا الجديدة ،

اشتقت إليهما كثيراً ، هلّا تعيدهما قريباً ؟

***ضحى- عمري لا يأبه بأرقام ***

ما من حاجة لهذه الرسالة ، فأنت قريب كحبل الوريد ، تنسكب رحمتك في جروحي الخفيّة والمعلنة .

لكنّي حبيسة طبيعتي البشريّة القاصرة .

فأسألك إلهي الرحيم :

لماذا تترك بعض أهل الأرض ، يحصدون رؤوس الأبرياء ؟

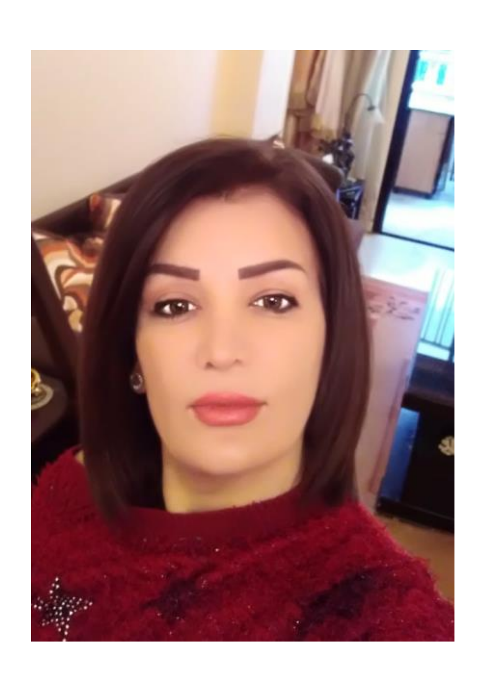
إنّنا بعض روحك ، فكيف تحكم سوادهم رقابنا ؟

إلى متى ستتركهم في طغيانهم يعمهون ؟

إلهي لا أحتاج إلى كتب سماويّة ، ولا كلمات معلّبة أو طقوس لأصلي .

فأنا ممتلئة بك ، وأعرف أنّي لست أكثر من نقطة صغيرة في ملكوتك .

الكاتبة فى سطور



ضحى جهاد أحمد

اجازة في الاعلام من جامعة دمشق

اجازة في التربية من جامعة تشرين

عضو اتحاد الكتاب العرب

عضو الهيئة الادارية العليا للمنبر العربي الجامع

عضوية لجان تحكيمية في القصة القصيرة والومضة القصصية بالتعاون مع اجنحة السلام والديمقراطية الدولية

ست مؤلفات في القصة القصيرة والرواية

أكتب في العديد من الدوريات العربية والمحلية

ناشطة اجتماعية في المجتمع المدني في سوريا من خلال الجمعيات الخيرية

العديد من التكريمات في الوطن العربي وكندا

محتوى الكتاب